لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه
ونظير ذلك خطاب من علم الله تعالى منه عدم الايمان بالايمان
كابي جهل ولهب نظرا للقدرة بما عليه باعتبار الظاهر
واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول
فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه
لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولاخرين ان
العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان
بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في
الفصاحة تعرضوا المعارضته كابن المقفع والمعري والمتنبي
ونظايرهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتناى عنه الطباع ونادى
عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة الى ان
تاب اكثرهم واظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القران على ما لا يحصى من
العلوم والغيبيات واحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك
من العجايب كل يوم اي وقت تهدي فاعله القراي بوصل وافاد
التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة فهو استعارة بالكناية
تتبعها استعارة تخييلية الى سامعيه معجزات من بيان المعجزة
بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد بها هنا الامر الغريب
والالم يصدق عليه حد المعجزة السابق مبتداة من لفظه
لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية ايجازه مع بلاغته
وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس كلام العرب حتى صار
جنسا غاية اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف والاصطلاح وكثرة
اخباره الصادرة تارة عن الامم الماضية واخرى عن الغيبيات وما
فيه من العلوم التي لا يمكن حصرها ونقل الامام بن سراقة من

اصحابنا

اصحابنا ان كل واحد من هذه راى قوم انه سبب الاعجاز القران ثم
اعترضهم بانحصر كلهم ما بلغوا في وجوه اعجازه جزوا واحدا من
عشر معشاره وتبعه البدر الزركشي فقال اهل التحقيق على
ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى احدهما
اي وحده تحكم بل فيه غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا على
الالسنة ومن السماع وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما
كالمتضادين اذ لا يجتمعان غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا
على جميع الكتب قبله فهي مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثم
كان الحصر في الاعجاز من ساير معجزات الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بل ومعادلا للكل لان سبيلهما واحد وهو مخالفة
العادة وهو سبله كثيرة كما تقرر في وجه اعجازه وسيل
بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال تشبيه بقولك
ما موضع الانسان من الانسان ومعناه انه ليس للانسان
موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته فقد حققته
ودللت على ذاته كذلك القران لشرفه لا يشار الى شي منه الا
وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقايله
وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله تعالى من كتابه
فلذلك طارت العقول وتاهت الابصار عنده واختلفوا
في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على بلوغه الذروة
العليا لامر فاختار القاضي المنع وانما التفاوت ادراك
الناس له واختار ابو نصر القشيري وغيره تفاوته ونفعهم
ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح لئلا يخرج عن نمط كلام العرب
فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور بقا العجز عن معارضته القراءة

Copyright © King Saud University